مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧١٥-٧٥٣، (ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ/ نوفمبر ٢٠٢٠)

الكاف في لهجات قبائل منطقة عسير
دراسة صوتية

فهد بن سعيد بن عبد الله آل مثيب القحطاني

أستاذ اللغويات المشارك بجامعة الملك خالد

ملخّص البحث : يتناول هذا البحث صور الأداء اللّهجيّ للكاف في منطقة عسير، ويقوم على منهجين علميين هما: المنهج التّاريخيّ، والمنهج الوصفيّ.
يهدف البحث إلى رصد تلك الظّواهر اللّهجيّة للكاف بوصفها مادة علمية يُخشى عليها من الاندثار في زمن ذابت فيه كثير من الفروق اللّغويّة والاجتماعيّة ....
كما أنّ البحث يسعى إلى تثوير الظّواهر اللّهجيّة في المنطقة، ولفت عناية الباحثين إلى أهميّة دراسة اللّهجات، لا سيما في منطقة عسير، الّتي تشهد تنوّعًا جغرافيًّا، أفرز تنوّعًا لهجيًّا؛ حتّى أصبح من السّهل أن يُقال: هذا بَدَوِيّ، وذاك سَرَوِيّ، والآخر تِهامِيّ.

الكلمات المفتاحية : ظواهر. سَرَوِيَّة. تِهامِيَّة. بَدَوِيَّة.

المقدمة

الحمد لله ذي المنة والإنعام، والصّلاة والسّلام الأكملان على خير الأنام، وبعد:

ما فتئ علماء العربيّة الأوائل في خدمة عربيّتهم؛ فانبروا يصنّفون في شتى علومها، وأورثونا نفائس غدت ملء سمع المكتبات الحديثة وبصرها، وبرهنوا على رسوخ قدم في تتبّعاتهم الواسعة لموادّ لغتهم، وتعمُّقهم في النّبش عن أسرارها، وجميل سماتها، مع تقديم التّفسيرات العميقة لكثير من ظواهرها، في حسن تصنيف وتبويب.

وقد كانت لهم جهود مشكورة فيما يتعلق بلغات العرب ، إلا أن مما يؤسف له أن جل ما صنفوه تحت مسمى " لغات " لم يصل إلينا منه إلا القليل[1] ، فكان لزاماً على من رام دراسة لغات العرب - الذي يعدُّ الأساس الركين لدارسي اللهجات - أن يتتبعها في ثنايا مصنفاتهم النحوية أو الصرفية أو المعجمية .

ولعل ذلك أسهم في عزوف كثير من المتأخرين عن الدراسات اللهجيَّة ، إضافة إلى ما تتطلَّبه هذه الدراسات من جهود ميدانية ، قد تكون مضنية أحيانًا ، فكان ذلك كله مدعاة إلى تأخر ظهور علم اللهجات بوصفه أحد علوم العربية .

وبقي الأمر كذلك، حتّى مطلع القرن الرّابع عشر الهجريّ، حين أذكت دراسات المستشرقين عناية اللّغويّين العرب؛ فتنادوا إلى التّصنيف في اللّهجات، بوصفها علمًا كباقي علوم اللّغة، وكانت أولى تلك الدّعوات على لسان "حفني

(١) مما وصلنا : كتاب اللغات في القرآن ، لعبدالله بن الحسين بن حسنون ، إلى ابن عباس ، حقَّقه : صلاح الدين المنجد ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٥ه.

ناصف بك" في مؤتمر المستشرقين في "فينا" عام ١٣٠٤هـ، زامنت عرضه لبحثه المقتضب الذي وسمه بـ"مميّزات لغات العرب"[١].

وجاءت الاستجابات متأخّرة نوعًا ما، فكانت أولاها في نهاية القرن الرّابع عشر الهجريّ متمثّلة في كتاب "في اللّهجات العربيّة" لإبراهيم أنيس، الّذي يُعَدُّ رائد هذا العلم، ثُمّ توالت الجهود من بعده؛ لتفرض بكثرتها وتداعياتها مكانة لائقة لهذا العلم؛ واستحق أن يفرد بهيئة علميَّة تُعْنَى به في أروقة مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة.

ورغم ذلك كّله، فإنّ هذا العلم لم توفه الدّراسات حقّه، فما زالت الدّراسات والأبحاث في ميدانه قليلة قياسًا على وفرة موضوعاته ، ولعلّ ذلك العزوف يعود إلى تطلّب هذه الدّراسات العمل الميدانيّ الجادّ، وهو بطبيعته يحتاج إلى صبرٍ ومصابرة على المشافهة والرّصد والتّرحال.

ولعلّ منطقة عسير من المناطق الّتي تزخر بسماتٍ لهجية متنوّعة بتنوّع قبائلها، وتباين تضاريسها، ولم تزل كثير من تلك السّمات تنتظر أقلام الباحثين، لا سِيّما من أبنائها النّابهين.

ومن تلك السّمات البارزة في هذه المنطقة: اختلاف الأداء الصّوتيّ لبعض الحروف، وجلّ تلك الاختلافات الأدائيّة لها امتدادها التّاريخيّ؛ حيث سجّلتها كتب اللّغة القديمة بعناية، ونسبتها لقبائلها.

ولعلّ حرف الكاف، من الأحرف الّتي اختلفت ألسن العَسِيريّين في نطقها اختلافًا بيِّنًا استحقّ أن يكون مادّة بحثيّةً، فكان هذا البحث بعنوان: "الكاف في لهجات قبائل منطقة عسير دراسة صوتيّة".

ولاختيار هذا الموضوع الأسباب التّالية:

---

(١) اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس، ص: ١٠.

١. أنّ دراسة صوت "الكاف" في منطقة عسير، لم يدرس دراسة صوتية من قبل على حدّ ما انتهى إليه اجتهادي.
٢. المساهمة في ردم هوة العزوف عن الدّراسات اللّهجيّة، ولو بجهد قليل.
٣. لفت عناية الباحثين إلى ما تكتنزه منطقة عسير من ظواهر لهجيّة تستحقّ الدّراسة.
٤. رصد تلك الظّواهر الصّوتيّة للكاف في المنطقة، وتدوينها؛ خشية اندثارها وانقضاء آجال جيلها الناطق بها.
٥. القيام ببعض حق المنطقة على الباحث ، الذي ينتمي إليها أصلا و مقاما ، مع درايته بلهجات أبنائها .

ويأتي هذا البحث ليحقّق -راجيا - هذه الأهداف:

١. رصد مظاهر الأداءات الصّوتيّة لـ"الكاف" في بيئات منطقة عسير المختلفة الصَّحراويَّة والسَّرويَّة والتِّهاميَّة.
٢. محاولة تقديم تفسير علميّ لتلك الأداءات الصّوتيّة.
٣. الكشف عن الامتداد التّاريخيّ لكثير من تلك الأداءات.
٤. تتبع مظاهر التّطوّر الصّوتيّ اللّهجيّ للكاف بدءًا بما رصده الأوائل، وانتهاء بما آل إليه في منطقة عسير.

ووفقًا لطبيعة البحث وأهدافه؛ فإنّ البحث يقوم على منهجين: المنهج التّاريخيّ الّذي يعين على تتبّع تلك الظّواهر اللّهجيّة منذ أوّل إشارة إليها عند الأوائل؛ حتّى زماننا المعاصر، مع رصد التّغيّرات الطّارئة عبر تلك الحقب الزّمنيّة، والمنهج الوصفيّ: المعين على وصف تلك الظّواهر، ومحاولة تقديم تفسير علميّ صوتيّ لها.

وقد جاء في مقدّمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وقائمة بثبت المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يلهمني التّوفيق والسّداد.

التّمهيد.

يشتمل العنوان على ثلاث مفردات، تمثل مفاتح للبحث يحسن أن نسلّط عليها الضّوء، ولو بصورة مقتضبة، وهي: "الكاف" و"اللّهجات" و"منطقة عسير".

أوّلاً: الكاف.

الكاف: أحد حروف بناء الكلمة في كثيرٍ من اللّغات الحيّة؛ إذ لا تكاد تخلو منه لغة من اللّغات البشريّة الحيّة المعاصرة على هذه البسيطة، فهو حاضر في الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والصينية، والأوردية ... إلّا أنّ للكاف في العربية سمات تميّزها عن كثير من صفاتها في غيرها، ويمكن أن نتناول تلك السّمات من جهتين:

الأولى: من جهة الصّفات الصّوتيّة للكاف في العربيّة.

للكاف صفات صوتيّة، تحدّدها كيفيّة تشكّل الصّوت عند النّطق بها، وتشير الدّراسات الصّوتيّة إلى أنّ الكاف العربيّة: حرف مهموس، شديد، منفتح، مستفل، صامت[(١)].

والأخرى: من جهة مخرجها.

تخرج الكاف في العربيّة من بين أقصى اللّسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[(٢)]، وتتمثل كيفيّة النّطق بها، بأن يندفع الهواء من الرّئتين إلى الحنجرة، فلا يحدث فيها تذبذبًا، ثُمّ ينحبس الهواء بين أقصى اللّسان والحنك الأعلى، ثُم ينفتح ذلك الاحتباس محدثًا صوت الكاف[(٣)].

---

(١) الأصوات العربيّة بين اللّغويّين والقرّاء، لمحمد زين العابدين، ١٠٠.

(٢) الممتع الكبير، لابن عصفور، ٤٢٤، وينظر: علم الأصوات، لكمال بشر، ص: ٢٤٧.

(٣) الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ٨٣ -٨٤، وينظر: علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، علي مزبان، ٦٦، وعلم الأصوات، محمّد أحمد محمود، ١٢٢.

والأصل في الكاف في العربيّة أن تكون أصلاً، فلا تأتي بدلاً ولا زائدة[١]، ولها في العربيّة حالات ثلاث:

الأولى: أن تكون حرف مبنى، أي: أن تكون أحد حروف بناء الكلمة.

الثّانية: أن تكون حرف معنى، نحو مجيئها حرف جرّ، أو حرف خطاب، نحو الكاف الملحقة بأسماء الإشارة: ذلك، تلك ...

الثّالثة: أن تكون ضميرًا للخطاب في نحو: "أبوكَ، أبوكِ، أبوكُما، أبوكُمْ، أبوكُنّ".

وتأتي الكاف مبدلة في غير الفصيح، نحو إبدالاتها اللهجية، وهي إبدالات حكم عليها الأوائل بأنها من اللغات المستقبحة والرديئة نحو: الكشكشة، الكسكسة، ... إلخ"، وسيأتي عليها الحديث مفصلا في هذا البحث بإذن الله تعالى.

ثانيًا: "اللّهجات".

اللّهجات: جمع "اللّهجة"، وهي في اللّغة من لهج بمعنى: أولع بالأمر، واللّهْجة واللهَجة: طرف اللّسان، وهي –أيضًا – جرس الكلام[٢].

أمّا في الاصطلاح؛ فلا يبعد كلام الخليل بن أحمد من أن يكون تعريفًا اصطلاحيًّا للّهجة، يقول: "هي لغته الّتي جُبِلَ عليها، فاعتادها، ونشأ عليها"[٣].

وهي عند المحدَثين: "مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئةٍ خاصّةٍ، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة"[٤].

---

(١) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، ٢٧٩/١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور(لهج) ٣٥٩/٢، تهذيب اللّغة، للأزهريّ (لهج)٣٦/٦.

(٣) العين، للخليل بن أحمد، (لهج) ٨٨٧.

(٤) في اللّهجات العربيّة، لإبراهيم أنيس، ص: ١٦.

ولا تخفى العلاقة بين المعنيين المعجميّ والاصطلاحيّ؛ إذ إنّ اللّهجة تتمثّل جرسًا كلاميًّا يحصل به التّمايز، وهي ممّا اعتاد عليها لسان المتكلّم جِبلَّة، إلاّ أنّها لا تكون لهجة إلاّ إذا كانت لسان بيئة تنتمي إليها، وتعرف بها، وما انفكّ النّاس يحصل بينهم التّعارف والتّمايز، من خلال اختلاف ألسنتهم؛ حتّى غدت اللّهجة سمة تدلّ على بيئة المتكلّم، وتشي بقبيلته أو منطقته أو بلده.

ثالثًا: منطقة عسير.

هي إحدى مناطق المملكة العربيّة السّعوديّة، وتقع في قلب الجنوب الغربيّ منها، بين خطي عرض ٣٠، ١٧، و٢١، وخطي طول ٣٠، ٤١، و٣٠، ٤٤، وتقدّر مساحتها بنحو ٨٠ ألف كيلومتر مربع[١].

ويمتدّ حدّها الشّماليّ من وادي الدّواسر شرقًا، إلى منطقة الباحة غربًا، ويمتدّ حدّها الجنوبيّ من اليمن شرقًا، إلى منطقة جازان غربًا[٢].

وتتباين معالمها التّضاريسيّة بين بوادٍ منبسطة تستحوذ على ما يُقارب ثُلث مساحتها، في جهتها الشّماليّة الشّرقيّة، وبين مرتفعات جبليّة، هي امتداد لسلسلة جبال السّروات، الممتدّة من الشّمال الغربيّ للمملكة إلى دولة اليمن جنوبًا، وبين سهول منحدرة تمتدّ من سفوح جبال السّراة انحدارًا إلى السّواحل الغربيّة، مرورًا بأغوار تِهامة المتناثرة على امتداد الشّريط الغربيّ.

ومجتمع المنطقة مجتمع قبليّ بامتياز؛ شأنه شأن كثيرٍ من مناطق المملكة، ومن أشهر قبائل المنطقة قبائل قَحْطان، وشَهْران، وعَسِير، ورِجَال الحَجْر، وبَلْقَرْن، وبَلْحارث، وشُمْران، وخَثْعَم، وبَارِق، وغيرها.

---

(١) المعجم الجغرافيّ للبلاد السّعوديّة، منطقة عسير، علي الحربيّ ١/٢٠.

(٢) المصدر نفسه ١/٢٠.

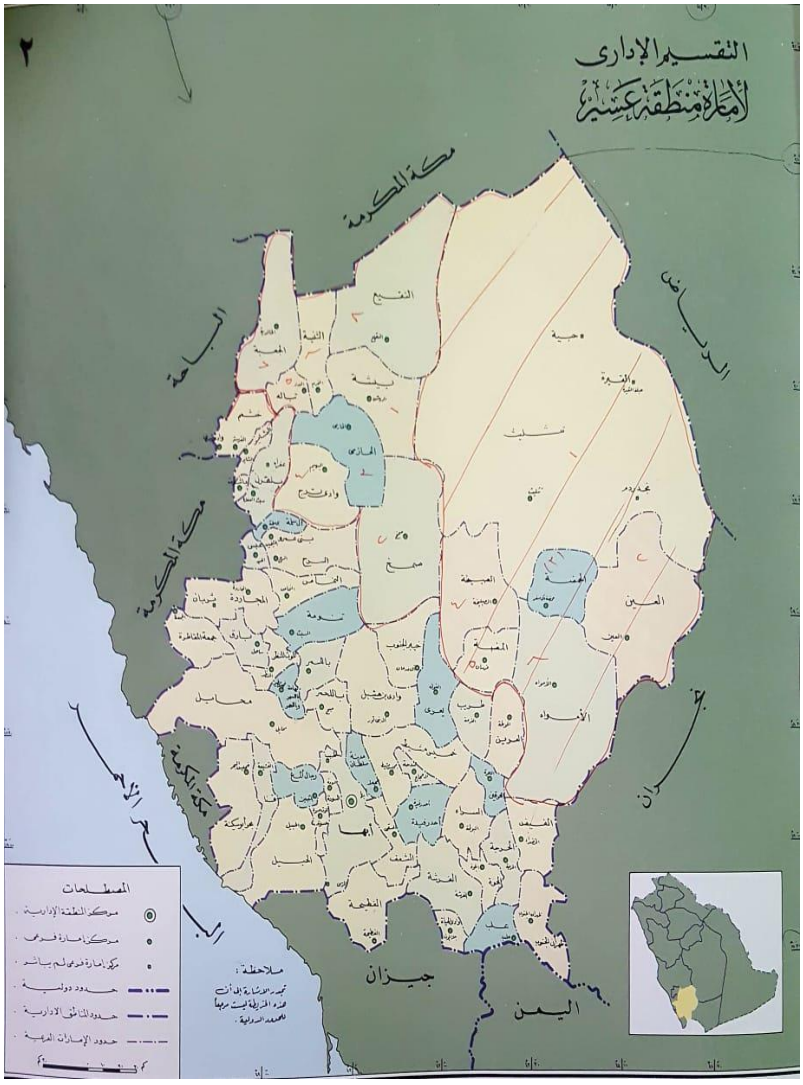

الصورة من "أطلس منطقة عسير الإدارية" ص١.

الفصل الأول : ظواهر صوتيَّة للكاف ذكرها اللغويون وتشيع في منطقة عسير

تناول الأوائل كثيرًا من مظاهر الكاف اللهجية ، وجعلوا لها ألقابًا تدل عليها اختصارًا ، وسنعرض في هذا الفصل لتلك الظواهر الملقبة التي عرفت قديمًا ، ومازالت حاضرة على ألسنة قبائل المنطقة، وسنبدأ بأوسع الظواهر انتشارًا ، وأكثرها دورانًا . ويحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث :

المبحث الأول: الكشكشة:

الكشكشة: من الظّواهر اللّغويّة الّتي رصدها علماء اللّغة قديمًا، ولم تفتأ مصنّفاتهم تذكرها مدعّمة بالمثل أو الشّاهد، وهي عندهم تطلق على أداءين لهجيَين متعلّقين بكاف المخاطبة، الأوّل: يكون بزيادة شين بعد كاف المخاطبة. ولعلّ الخليل بن أحمد أوّل من أشار إليها في معجمه العين، ونسبها إلى ربيعة، يقول: "الكشكشة لغة ربيعة، يقولون عند كاف التّأنيث: عَلَيْكِش، إليكِش؛ بزيادة شين"(١)، ونسبها سيبويه إلى بعض تميم وأسد(٢)، وعزاها غيره إلى بكر(٣).

والآخر: بقلب كاف المخاطبة شينًا، ذكرها الخليل كذلك في معجمه (٤):

وعليها قراءة: "قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا"(٥)، وقراءة: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَاشِ وَطَهَّرَشِ"(٦)،

وقد أشار سيبويه إلى هذا الوجه بقوله: " فأمّا ناس كثير من تميم، وناس من أسد؛ فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنّث الشّين"(٧).

---

(١) العين، للخليل بن أحمد، ٨٤٣، وينظر: فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح، لمحمّد الفاسي ١١٢٩/٢ وما بعدها.

(٢) الكتاب، لسيبويه، ٢٩٥/٢.

(٣) ألف باء، لأبي الحجاج البلوي، ٤٣١/٢.

(٤) العين ، ٨٤٣.

(٥) مريم: ٢٤، انظر: فقه اللّغة للثّعالبي ١٧٢. و شرح المفصل ، لابن يعيش ، ٩/ ٤٩، ولم يعثر الباحث على تخريج لها في كتب القراءات الشاذة ، ولا على من قرأ بها .

(٦) آل عمران: ٤٢ ، وهي قراءة شاذة انظر: ألف باء ٤٣١/٢. لم يعثر الباحث على تخريج لها في كتب القراءات الشاذة ، ولا على من قرأ بها .

(٧) الكتاب، ٢٩٥/٢.

وساق المبرّد قول العرب: "جعل الله البركة في دارش"[١].

ويعلّل سيبويه لوجهي الكشكشة، بأنّ المراد هو: التّفريق بين خطاب المذكّر والمؤنّث؛ لاستوائهما حال الوقف خصوصًا؛ بسبب السّكون العارض مع الجنسين، يقول: "وذلك أنّهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث؛ وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة"[٢] ووافقه المبرّد بقوله: "الّتي يدرجونها يدعونها كافًا، والّتي يقفون عليها يبدلونها شينًا"[٣].

وعن وجه علة زيادة الشّين بعد الكاف يقول سيبويه: "وقومٌ يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوا مكانها للبيان[٤].

وقد ناقش د. رمضان عبد التّوّاب مقالة سيبويه الآنفة، وساق رأيه الّذي لا يبعد أن يكون اعتراضًا على سيبويه، وذلك أنّه رأى أنّ ثمّة شواهد محفوظة تضمّنت صور إبدال كاف المخاطبة شيئًا حال الوصل والوقف؛ بل إنّ أمثلة سيبويه نفسها تغاير ما ذهب إليه من أنّ ذلك الإبدال خاصّ بالوقف، فتمثيله بقوله: "وذلك قولهم: إِنّشِ ذاهِبَةٌ، وما لَشِ"[٥] يشير إلى جواز الإبدال وصلاً ووقفًا"[٦].

والّذي ذهب إليه د. رمضان عبد التّوّاب تُعَضّده الشّواهد الّتي رصدت إبدال كاف

---

(١) الكامل، للمبرّد ٢/٢٢٣.

(٢) الكتاب، ٢/٢٩٥.

(٣) الكامل، ٢/١٦٦.

(٤) الكتاب ٢/٢٩٥.

(٥) المصدر السابق ٢/٢٩٥.

(٦) فصول في فقه العربيّة د. رمضان عبد التّوّاب، ١٤٢.

المخاطبة شينًا حالي الوصل والوقف، منها قول مجنون ليلى[١]:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشِ جِيدُهَا

وَلَكِنَّ عَظَمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ

ومنها قول الرّاجز[٢]:

يَا دَارُ حُيِّيتِ وَمَنْ أَلْمَمَ بِشْ

عَهْدِي وَمَنْ يَحْلِلْ بِوَادِيشِ يَعِشْ

ويُؤيّد ذلك ما أشار إليه ابن جني بأنّ وجه إبدال كاف المخاطبة شينًا حال الوصل وجه مسموع ومستعمل، يقول: "ومن العرب من يبدل كاف المؤنّث في الوقف شينًا حرصًا على البيان؛ لأنّ الكسرة الدّالّة على التّأنيث فيها تخفى في الوقف؛ فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينًا؛ فقالوا: عَلَيْشْ، ومِنْشْ، ومررتُ بِشْ، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف؛ فيبدل فيه أيضًا"[٣]، ثُمّ ساق بيت مجنون السّابق.

والّذي يظهر للباحث أنّ ما ذكره سيبويه كان هو الأصل، أي: أنّ تلك القبائل كانت تبدل وقفًا لا وصلاً، ثُمّ توسّع الاستعمال –كما هي عادة اللّهجات – فجرى الإبدال حال الوصل كما جرى حال الوقف، يدلّ على ذلك أنّ الخليل لم يستشهد للكشكشة إلا حال الوقف دون الوصل ، وهو متقدّم نقل ما كان يسمع في زمانه غالبًا.

---

(١) البيت في لسان العرب، لابن منظور "كشش" ٢٣٣/٨، وفي سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، ٢٠٦/١.

(٢) الإبدال، لأبي الطّيّب اللّغويّ، ٢٣١/٢.

(٣) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، ٢٠٦/١.

وإذا اتّجه السّؤال: لِمَ اخْتيرَت الشّين لمهمّة التّفريق بين خطاب المذكّر والمؤنّث؟ جاءت الإجابة وافية من لدن إمام النّحاة سيبويه؛ إذ فسّر ذلك تفسيرًا صوتيًّا؛ فالشّين تشابه الكاف في الهمس، وهي أدنى من الكاف مخرجًا، وكأنّهم جنحوا إلى حرف تحصل به الإبانة، ولا يثقل صوتًا، يقول سيبويه: "وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنّها مهموسة كما أنّ الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموسًا من الحلق؛ لأنّها ليست من حروف الحلق"[(١)].

ومع وفرة الشّواهد على قلب كاف المخاطبة شينًا، تبقى صورة زيادة الشّين بعدها مفتقرة إلى شواهد شعريّة أو قراءات قرآنيّة، الأمر الّذي يقودنا إلى أنّ هذه الصّورة ،لم تكن منطوقة على نحو ما نُقِل إلينا؛ إذ إنّ نطق كاف المخاطبة متبوعة بالشّين "كش"، ممّا يثقل نطقه طبعًا، وذلك إذا تصوّرنا النّطق بكلّ منهما على وجهه، وهذا في غالب الظنّ ممّا تفرّ منها اللّهجات، الّتي تميل إلى الخفّة والتّسهيل؛ لذا كان من المحتمل أن نطقهما كان بجعلهما في صورة حرف واحد مركّب، ويكون ذلك بأن يُنْحَى بالكاف نحو التّاء؛ فيكون الصّوت بينهما، وحينها ينساب الصّوت المركّب، وكأنّه "تش"، وهو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس، يقول: "أصوات أقصى الحنك، "كالكاف" و"الجيم" الخالية من التّعطّش، تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أماميّة حين يليها صوت لين أمامي (كالكسرة)؛ لأنّ صوت اللّين الأماميّ في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصواتَ أقصى الحنك فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصوات الثّنايا العليا"[(٢)].

---

(١) الكتاب، ٤/١٩٩.

(٢) اللهجات العربيّة، لإبراهيم أنيس، ١٢٣.

وقد يؤدّي ذلك إلى أنّ صوت "كش" غير مسموع في البيئات اللهجية المعاصرة، بخلاف الصوت المركب " تش " = "ch"، وهذا يجعلنا نميل إلى أنّ ما نقله إلينا أسلافنا لم يكن ينطق الكاف والشّين بوصفهما صوتين مستقلّين؛ بل بوصفهما صوتًا واحدًا مركّبًا، وقد جاء عن بعضهم ما يمكن أن يكون إشارة إلى هذا الرّأي، وإن لم يكن بالدّقّة ذاتها، ولكن يكفي أنّهم قد أشاروا إلى أنّ الصّوت صوت واحد مركّب، لا أنّه من صوتين مستقلّين.

فالبلوى في كتابه "ألف باء" يقول ما نصه: "ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف، بين الجيم والشّين، وذلك من اللّغات المرغوب عنها، لما لم يتهيّأ له أن يفرد الجيم، ولا الشّين"(١)، وبنحو قوله قال ابن دريد؛ إذ يقول: "وإذا اضطرّ الّذي هذه لغته، قال: جِيْدِشْ، وغُلَامِشْ، بين الجيم والشّين؛ إذا لم يتهيَّأ له أن يفرده"(٢).

وفي منطقة عسير يُسْمَع أداءان للكشكشة: الأوّل: بإبدال كاف المخاطبة شينًا صرفة مطلقًا؛ فيقولون: أبوشْ، أُمّشْ، ثَوْبشْ، بدل: أبوكِ، أمّكِ، ثوبكِ، ومن أمثلتهم السّائرة: "احْبَلِي فَإِنّشْ عَقِيم"(٣).

وهي لغة لها انتشار واسع في المنطقة؛ إذ هي لهجة عامّة قبائل عَسِيْر، سواء من يسكن السّراة أم من يسكن تِهامة، وتشاركهم عامّة قبائل قحطان الّتي تسكن محافظة "أَحَدْ رُفَيْدَة"، وقبائل بني بِشْر، وقبائل شُرِيْف، وسَنْحَان، والحُبَاب، ووَادِعَة الّتي تسكن محافظة "الحَرَجَة" وما جاورها، وعامّة قبائل رجال الحَجْر (بَلَّحْمِر،

(١) ألف باء، ٤٣٢/٢.

(٢) جمهرة اللّغة، ٥/١.

(٣) وهو مثل يُضْرَب للشّيء المستحيل حصوله؛ لانتفاء سبب وجوده. ينظر: الأمثال الشّعبيّة في المنطقة الجنوبيّة، يحيى إبراهيم الألمعي، ٢٦.

وبَلَّسْمِر ، وبنو شِهْر، وبنو عَمْرو) سَراة وتَهَمًا، وعموم هذه القبائل تسكن الجهة الغربيّة من منطقة عسير، وتمتد مساكنهم من محافظة "النماص شمالاً إلى محافظة "الحَرَجَة" جنوبًا، وتشمل جميع المنحدرات الغربية بدءًا من تِهامة رجال الحَجْر شمالًا مرورًا بتِهامة عَسِيْر، وانتهاء بتهامة قَحْطَان، وتِهامة شَهْرَان جنوبًا.

وتمتدّ هذه الظّاهرة إلى دولة اليمن، خصوصًا في لهجة صنعاء، وبلاد يَرِيْم، وقاع الحَفْل من أرض يَحْصُب[1].

وعامّة قبائل المنطقة الّتي تبدل كاف المخاطبة شينًا، من القبائل الحضريّة ؛ إذ لا تُسمع الكشكشة في البيئات البدويّة إلا ما ندر.

والآخر: بإبدال كاف المخاطبة حرفًا مُرَكّبًا من التّاء والشّين "تش"، وهي لغة بعض سَرَاة قبائل الحَجْر، وخصوصًا قبائل سَرَاة بَلَّحْمِر وبعض قبائل بادية بني شِهْر الممتدّة ديارهم إلى محافظة بِيشَة شمال مدينة أَبْهَا، من ذلك قولهم: أمِّتش، أَبُوتش ....

وهذا الصّوت المركّب من التّاء والشّين يماثل صوت (ch) في اللّغة الإنجليزيّة، ويغلب على الظّنّ أنّه تطوّر صوتيّ لزيادة الشّين بعد كاف المخاطبة الّذي حكاه لنا علماؤنا الأوائل "كش"، فكأنهم استثقلوا الصّوت المركّب من الكاف والشّين ؛ فأبدلوا الكاف تاء "تش"[2]، ولا يبعد أن هذا الصوت كان ينطق مركبا منذ القدم ، إلا أنَّ الأوائل لم يضعوا له رمزًا كتابيًّا يدلّ عليه.

ولعلّ هذا الأداء اللّهجيّ يعضّد القول بأنّ ما حكاه أسلافنا من صورة زيادة الشّين بعد كاف المخاطبة كان صوتًا مركّبًا "كش"، ولم يكن صوتين متمايزين للكاف

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربيّة، أحمد حسين شرف الدّين، ص: ٣٠. وينظر: دراسات في المحكية اليمنيّة، لعباس السّوسوة، ص: ٧٠.

(٢) في اللّهجات العربيّة، ١٢٣.

والشّين، وذلك إذا مال بنا الرّأي إلى أنّ الصّوت المركّب "تش" هو تطوّر لذلك الصّوت المحكي "كش".

وهذا الأداء نادر في المنطقة، وهو مماثل الأداء اللّهجي في قبائل "فَيْفَا" و"بني مَالِك" وغيرهما في سَراة منطقة جازان؛ إذ يُسْمع عندهم هذا الصّوت "تش" كثيرًا، سواء كان مبدلاً عن كاف المخاطبة أم كان أصليًّا.

المبحث الثاني: الكَسْكَسَة:

الكسكسة تشابه الكشكشة في صورتيها ، غير أنّ الحرف الملحق بعد كاف المخاطبة في الصورة الأولى، أو المبدل منها في الصورة الثانية هو حرف السّين بدل الشّين، وهي من الظّواهر القديمة الّتي تباينت مواقف العلماء في ذكرها، فهذا الخليل بن أحمد لم يشر إلى الكسكسة لا بصورتها الأولى ولا الثانية، مع أنه قد ذكر الكشكشة بصورتيها في معجمه العين، الأمر الذي يمكن تفسيره: بأنّ الكسكسة كانت أقلّ ذيوعًا من نظيرتها الكشكشة.

وذهب طائفة من الأوائل[١] إلى ذكر إحدى صورتي الكسكسة، وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطبة، منهم سيبويه، يقول: "واعلم أنّ ناسًا من العرب يلحقون الكاف السّين .... وذلك أَعْطَيْتُكِس، وَأُكْرِمُكِس، فإذا وصلوا لم يجيئوا بها؛ لأنّ الكسرة تبين"[٢]. واللافت أنّ غير واحدٍ من الأوائل، -ومنهم سيبويه - لم يذكروا الصّورة الأخرى للكسكسة المتمثّلة في قلب كاف المخاطبة سينًا، وهذا يقودنا إلى أنّهم لم يسمعوا بها، أو أنها لم تكن بشهرة الصورة الأولى فأهملوا ذكرها.

وفي نصّ المبرّد الآتي، دليل على قلة سماع صورة قلب الكاف سينًا؛ حيث ذكر أنّها قليلة الاستعمال نظير قسيمتها المتمثّلة في إلحاق السّين الكاف، يقول: "وأما بكر فتختلف في الكسكسة، فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا ، وهم أقلُّهم ، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِس"[٣].

---

(١) منهم: الثّعالبي، انظر: فقه اللّغة ١٧٢ -١٧٣، وابن فارس، انظر: الصّاحبي، ٢٤.

(٢) الكتاب، لسيبويه، ١٩٩/٤.

(٣) الكامل، للمبرّد، ٢٢٣/٢.

وفي المقابل ثمّة من العلماء من أثبت صورة قلب الكاف سينًا، ولم يثبت الصّورة الأخرى، منهم أبو الطّيّب اللّغويّ[١]، وابن الأثير[٢].

ومنهم من أورد الصّورتين من غير أن يميّز إحداهما على الأخرى بفضل كثرة استعمال، نحو ما فعل السّيوطيّ في مزهره[٣].

والذي يظهر للباحث أن كلتا الصورتين لم يكن ذائعًا مستفيضًا، وأنّ ما رصده الأوائل كان استعمالات في بيئات محدودة؛ لذا أهمل ذكرها من أهمل، واقتصر الذاكرون لها على إحدى الصورتين، وقلّ من ذكر الصورتين معًا، وعلاوة على ذلك فالذّاكرون لإحدى الصورتين أو كلتيهما لم يستشهدوا لأيٍّ منهما بقراءة قرآنيّة، ولا بشاهد شعريّ، على نحو ما صنعوا مع الكشكشة[٤].

وتماثل العلة الصوتية للكسكسة العلّة الصّوتيّة للكشكشة نفسها؛ إذ الوجه الجامع بينهما طلب الإبانة؛ للإبهام النّاشئ من تماثل صورتي الوقف بالسكون مع خطاب المذكر والمؤنث، وساغ الأمر مع السّين؛ لأنّها من أحرف الزيادة [٥].

وما قيل حول غلبة الرّأي في أنّ إلحاق الشّين بعد كاف المخاطبة في الكشكشة ما هو إلاّ صوت تركب منهما "كش"، لا أنّهما صوتان مستقلان ، ينسحب على الصّوت المركّب من الكاف والسّين "كس" وأنهما ليسا صوتين مستقلّين [٦]، ويؤيّد ذلك الواقع اللهجي المعاصر، الّذي ينطق بالحرفين في صورة حرف واحد مركّب، كما سيأتي.

---

(١) انظر كتابه: الإبدال، ٢/٢٠٧.

(٢) انظر كتابه: النّهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/١٧٤.

(٣) المزهر، ١٨١ ، وينظر: فيض نشر الانشراح بين روض طيّ الاقتراح، ٢/١١٤١.

(٤) انظر: سر صناعة الإعراب، ١/٢٠٢، ٢٠٣.

(٥) الكتاب، ٤/١٩٩.

(٦) فصول في فقه العربيّة، ١٤٥ -١٤٦.

وفي منطقة عسير يُسمع أداءان للكسكسة: الأول بقلب كاف المخاطبة سينًا خالصة، نحو قولهم: كيف حالِس؟ عَساس بخير؟ أي: كيف حالُكِ؟ وعَسَاكِ بخير؟ وهذه الصّورة تُسمع في حاضرة قبائل شَهْران الّتي تسكن محافظة "خَمِيس مُشَيْط" وما يتبعها من مراكز "تَنْدَحَة"، "وَادِي بِنْ هَشْبَل" ... وما جاورهم من قبائل قحطان كـ"آل الشُّوَاط" من أَحَد رُفِيدَة، و"آل المُسْتَنِير" و"آلمُصَبِّح" من قرى قحطان "تَنْدَحَة".

والآخر: بقلب كاف المخاطبة صوتًا مُرَكَّبًا من التّاء والسّين "تْس".

يقولون: كيف حَالِتْس؟ عَسَاتْس بخير؟ أي: كيف حالكِ؟ عَساكِ بخير؟ وهذا الأداء أكثر اتّساعًا واستعمالا من سابقه، ويمتدّ في مساحة جغرافيّةٍكبيرة، يشمل محافظة "تَثْلِيث" ومحافظة "بِيْشَة" ومحافظة "سَرَاة عَبِيْدَة" ومحافظة "طَرِيْب"، والسّمة المشتركة بين هذه القبائل أنّ جُلَّهُم من أهل البادية أصالة، وإن كانت محافظاتهم قد أخذت نصيبها من المدّ الحضاريّ العام.

وتقع هذه المحافظات في شرق المنطقة امتدادًا إلى أقصى شمالها ممّا يتّصل بالأجزاء الجنوبيّة من المنطقة الوسطى "نَجْد" الّتي تشتهر عمومًا بالكَسْكَسَة.

المبحث الثالث: الشَّنْشَنَة:

الشّنشنة: هي قلب الكاف إلى شين مطلقًا[١]، وهي بذلك أعمُّ من الكشكشة؛ إذ الكشكشة خاصّة بضمير المخاطبة فحسب.

والشّنشنة ظاهرة صوتيّة أشار إليها الأوائل، ونسبوها إلى اليمن. جاء في "المزهر": "الشّنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شينًا مطلقًا كـ"لَبَّيْشَ اللَّهُمَّ لَبَّيْش، أي: لبَيْكَ"[٢].

وقد أشار ابن جني إلى هذه اللّغة، -ولم يسمها - في مختتم حديثه عن الكشكشة، وأورد شاهدها في قول الشّاعر:

عَلَيَّ فِيْمَا أَبْتَغِي أَبْغِيشِ بَيْضَاءَ تُرْضِينِي وَلَا تُرْضِيْشِ
وَتَطْلُبِي وُدَّ بَنِي أَبِيْشِ إِذَا دَنَوْتِ جَعَلَتْ تُنْئِيْشِ
وإِنْ نَأَيْتِ جَعَلَتْ تُدْنِيشِ وَإِنْ تَكَلَّمتِ حَثَتْ فِي فِيشِ
حَتَّى تَنُقِّي كَنَقِيْقِ الدِّيْشِ

ثُمّ علّق بقوله: "فشبّه كاف الدّيك؛ لكسرتها بكاف ضمير المؤنّث"[٣].

والحقّ أنّ هذا الإبدال ليس شبهًا دعت إليه القافية؛ بل هي لغة ما تزال مسموعة في كثير من البيئات العربيّة المعاصرة، نحو ما نسمعه اليوم في بعض دول الخليج؛ من إبدال الكاف شينًا مشوبة بالتاء "تش" تشبه صوت (H) الإنجليزيّة كالكويت مثلاً؛ إذ تشيع عندهم هذه الظّاهرة في نحو قولهم: تشتاب، تشذّاب،

---

(١) المزهر، للسّيوطيّ، ١٨٢/١، وينظر: أبحاث التّأريخ الجغرافيّ للقرآن والتّوراة ولهجات أهل السّراة، لأحمد قشاش، ٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، ٢٠٧/١.

تشذا، أي: كِتاب، كَذَّاب، كذا[١]، كما أنّها مسموعة في صحراء سوريا ؛ فيقولون: تشرسي، ناتشل، أي: كرسي، نأكل[٢].

وفي منطقة عسير تُسْمع هذه الظّاهرة في بعض سَرَاة قبائل بَلْقَرْن، منهم قبيلة "آل سُلَيْمَان"، وهم يسكنون شمال المنطقة في محافظة "سَبْت العَلَايَا". فهم يبدلون الكاف صوتًا مُرَكَّبًا "تش"، نحو قولهم: تشتاب، تشلب، متشينة، أي: كتاب، كلب، مكينة.

والجدير بالذّكر أنّ هذه القبيلة لا تقلب كاف المخاطبة شينًا "الكشكشة" بل تقلبها جيمًا متعطّشة على نحو ما يسمع في بعض دول شرق الخليج العربيّ، وسيأتي الحديث عن هذه الظّاهرة تحت مسمّى "الكَجْكَجَة". وقد يقودنا هذا الشّبه الكبير بين الأداءين في محافظة بَلْقَرْن، وفي دول شرق الخليج العربيّ، إلى الاعتقاد أنّ ثَمّة صلات بينهما قد تكون من جهة الأنساب أو من جهة الاقتراض اللّهجيّ من خلال الهجرات أو الرّحلات، لا سيما أنّ هذه السّمات لا تسمع إلاّ في هذه القبيلة ، ولا تماثلها بقية القبائل حتّى المحيطة بها.

(١) الظواهر الصوتية في اللهجة الكويتية ، رسالة ماجستير ، لعبد الناصر بن حمد آل عبدان ، ٧٥.

(٢) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربيّة، ٣١، ٣٢.

المبحث الرابع : الْوَكْم.

الوَكْم : كسر كاف الضّمير "كُمْ" إذا كان قبلها ياء أو كسرة[١]، وهو مصدر : وَكَمَ يَكِم، كـ "وَعَدَ"، يَعِد، يُقال : هم يَكِمون الكلام، أي : يقولون : "السّلام عَلَيْكِم" ؛ بكسر الكاف[٢].

وهذه الظّاهرة منسوبة إلى قبيلة ربيعة، يقولون : بِكِمْ، وَعَلَيْكِمْ، وَفِيكِمْ، في بِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ، وَفِيكُمْ[٣]، ونسبها السّيرافيّ إلى ناس من بَكْر بن وائل، وقال : "هِيَ لغة رديئةٌ"[٤].

وكسر الكاف هنا مُفَسَّر بطلب المماثلة الصّوتيّة ؛ حيث تخلّت الكاف عن حركتها الضّمّة مماثلة للكسرة قبلها أو للياء[٥]. وهي ما يسمّى : الإتباع.

وللمبرّد تحليل صوتي آخر، مفاده : أنّ من يكسر هذه الكاف إنّما أرادوا حملها على كسر الهاء في مثل مِنهِم وعَلَيْهِم، وهي ما تُعْرَف بظاهرة "الوَهْم". وجعل ذلك الحمل من الخطأ الفاحش ؛ لأنه إنّما جاز ذلك مع الهاء ؛ لأنّ صوتها مهموس، وفيه خفاء، بخلاف الكاف الّتي لا خفاء فيها، وإن كانت مهموسة، " وإنّما ينبغي أن يجري الحرف مجرى غيره ؛ إذا أشبهه في علّته[٦].

---

(١) المزهر، ١/١٨٢.

(٢) القاموس المحيط، للفيرز آبادي، (وكم) ٤/١٨٤.

(٣) المزهر، ١/١٨٢، وينظر : فيض الانشراح من روض طي الاقتراح ٢/١١٤٢.

(٤) شرح السّيرافيّ، ٥/٦٨.

(٥) المصدر السّابق ٥/٦٨.

(٦) المقتضب، ١/٢٦٩.

والظّاهر أنّ من يكسر هذه الكاف، إنّما كسرها جريًا على عادته في لسان قومه، ولم يُرد ما أشار إليه المبرّد من حمل "الوَكْم" على "الوَهْم" مع أنّ المماثلة الصّوتيّة هي الجامع بينهما، لا أنّ صفات الحرفين هي من أنتج تلكما الظّاهرتين.

وظاهرة "الوكم" من الظّواهر الصّوتيّة قليلة الشيوع في لهجات منطقة عسير، وهي مسموعة خصوصًا في محافظة رِجَال أَلْمَع، وفي قبائل "رِيْم" وما جاورها على وجه أخص.

ولا يبعد أن تكون هذه الظّاهرة عريقة في محكيات هذه القبائل بعراقة تاريخها، وإن لم تشر مصنفات اللّغويّين الأوائل إلى أن هذه الظاهرة مسموعة في لهجة هذه القبائل . الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن بيئات جنوب الجزيرة العربية ، لم تنل حظها من الدراسات اللغوية القديمة مقارنة بباقي بيئات الجزيرة العربية .

الفصل الثاني:

ظواهر صوتية للكاف لم يذكرها اللغويون القدماء وتشيع في منطقة عسير

يتناول هذا الفصل الظّواهر اللّهجيّة للكاف التي لم يَذكرها الأوائل في مصنفاتهم، ويغلب على الظن أنها من الظواهر الناشئة حديثا التي أفرزها التطور الصوتي لبعض الظواهر القديمة، وتحته أربعة مباحث، رُتبت بالأكثر شيوعا، وهي:

المبحث الأول: قلب الكاف سينا مطلقا في غير الكسكسة (التَّسْتَسَة):

التّستسة: هي قلب الكاف حرفًا مُرَكَّبًا من التّاء والسّين "تس"، (TS) مطلقًا[(١)]. ويُسمّيها بعض المعاصرين "السّين المُكَسْكَسَة"؛ استخصارًا للظّاهرة الكَسْكَسَة، باعتبارها الأصل الّذي يتوقّع أنّها تطوّرت عنه[(٢)].

ولعلّ تسمية "التَّسْتَسَة" أدلّ على الظّاهرة، من حيث إبانتها عن الصّوت المركّب "تس" بخلاف تسمية "السّين المُكَسْكَسَة" الّتي يتوهّم أنّها إبدال الكاف سينًا، أو إلحاقها سينًا بعدها.

وبمطالعة كتب التّراث اللّغويّ، لا نجد ذكرًا لهذه الظّاهرة، ممّا يدلّ على أنّها لم تكن مسموعة قديمًا، وعليه يمكن الحكم بأنّها من الظّواهر الّتي نشأت في البيئات اللّهجيّة المعاصرة.

وتنشط هذه الظّاهرة في البيئات الّتي تُسْمَع فيها "الكَسْكَسَة"، وكأنّهم قد أجروا حرف الكاف مُجرى كاف المخاطبة.

ومن الجدير بالذّكر أنّ إبدال الكاف حرفًا مُرَكَّبًا "تس" ليس على إطلاقه، فبعد الرّصد والتّتبّع ألفى البحث مواضع لا تُبْدَل فيها الكاف سينا، والجامع لتلك المواضع

---

(١) معجم اللّهجات المحكية، لسليمان الدّرسوني، ١٤.

(٢) نقلا عن الدرسوني ، ولم يشر إلى صاحب التسمية ، المصدر السّابق، ١٨٣.

أنّ سلاسة النّطق تأبى ذلك الإبدال، ومن فضلة القول أنّ جُلَّ السّمات اللّهجيّة تتشكّل محققة سلاسة النّطق وخفته؛ لذا حصل التّسهيل والحذف، والقلب والإمالة والإدغام ... كلّها لأجل تلك الغاية الصّوتيّة.

ولا غرو أنّ بقاء الكاف من غير إبدالها حرفًا مركّبًا "تس" قد يكون أيسر من إبدالها في بعض الكلمات؛ لذا التزمتها البيئات اللّهجيّة في المنطقة من غير إبدال في مواضع هي:

أ.إذا كانت الكاف مُضعّفة فلا تبدل نحو: مَكَّة: لا يُقال: متْسَة. وفي نحو الفعل: فَكّ، لا يُقال: فَتْسَ. ومثل ذلك: حَكَّة، شَكَّ، دَكَّ، صَكَّ .... إلخ".

ب.إذا كانت الكاف فاءً مضمومةً، ولم تُحِلها اللّهجة إلى فتحة أو كسرة، فلا تُبدل؛ نحو: كُحْل لا يقال: تُسحْل،

ولا في كُتُب: تُستب

ولا في كُسُور "جمع كسر": تُستور ...

ج. إذا كانت الكاف فاءً وبعدها حرف معتلّ؛ فإنّها لا تُبْدَل، نحو:

كافر لا يُقال: تّسافر.

ولا في كاتب: تساب.

ولا في كُومة: تُسوْمَة.

ولا في كُوْسَة: تسوسة.

ولا في كَيْل: تسيل.

ولا في كَيْك: تسيك...

ويستثنى من ذلك "كَيف" الاستفهاميّة ؛ فإنّهم يبدلون كافها ؛ فيقولون : تسيف الحال؟ أي : كيف الحال؟ ولعلّ السّبب في ذلك يتمثّل في كثرة الاستعمال ، مع سهولة النّطق ، وأمن اللّبس.

د. إذا كانت الكاف في اسم أعجميّ ؛ فلا تبدل نحو :

فلا يقال في أمريكا : أمرتسا.

ولا في كُوريا : تسوريا.

ولا في تركيا : ترتسيا.

ولا في كندا : تسندا.

هـ. إذا كانت الكاف مسبوقة بحرف التّاء ؛ فإنّها لا تبدل ؛ لكراهيّة توالي التّاء الأصليّة والتّاء المركّبة مع السّين "تس" ؛

فلا يقال في فَتْك : فتتس.

ولا في هَتْك : هتتس.

ولا في مَتْكى "اسم آلة من اتّكأ" : مَتْتسى.

بخلاف إذا وليت التّاء الكاف ؛ فإنّهم يبدلونها ؛ نحو : تستف ، وتستمة ، أي : كتف ، وكتْمة.

و. إذا جاورت الكاف السّين ؛ فإنّها لا تبدل ؛ لكراهية توالي السّين الأصليّة ، والسّين المركّبة مع التّاء "تس" سواء كانت السّين قبل الكاف ؛ نحو :

فلا يقال في مِسْك : مِستس.

ولا في سَكْتة : سَتْسَتة.

ولا في سَكْرَة : سَتْسرة.

أم كانت السّين عقب الكاف.

فلا يقال في كِسْرَة: تسسرة.

ولا في كَسَل: تستل.

ولا في كَسَب لا يُقال: تَسسب.

وخلاصة القول: أنّ إبدال الكاف سينًا هو الأظهر في لهجات تلك البيئات إذا أمن اللبس، وإذا لم يتطلّب ذلك الإبدال ثقلا في النطق.

المبحث الثاني: الكاف التّهاميّة[١]، "الكَخْكَخَة"[٢].

الكخكخة: إبدال الكاف صوتًا مُرَكّبًا من الكاف والخاء المتقدمة نحو مخرج الفم، ويسمّيها بعض المعاصرين "الكاف التّهاميّة"، وهي تخرج من وسط الحنك الأعلى، ويكون الصّوت بها رخوًا؛ لجريان النّفس عند النّطق بها؛ ولعلّ الكاف الّتي هي في الأصل حرف شديد، لا يجري معها النّفس، قد اكتسبت الرّخاوة في "الكخكخة" من تركّبها مع صوت الخاء الرّخو.

وهذه الظّاهرة الصّوتيّة للكاف، لا تكاد تُسْمع إلاّ في قبائل تهامة منطقة عسير، وخصوصًا في "قبائل رجال ألمع"، حتّى غدت سمة صوتيّةً يمتازون بها عن باقي قبائل المنطقة.

وصوت الكاف هذا مطّردٌ في كلّ كاف عندهم، عدا كاف المخاطبة، فهم يبدلونها شينًا "الكشكشة" كما مرّ، من ذلك قولهم: كخيفكخ؟ أي: كيفك؟ و مَكخة في: مَكّة، ولا يكون النطق بالحرف المركب "كخ" بتحقيق صوت الخاء، وإنما يكون الاعتماد على حرف الكاف، ويجري معه النفس بصوت يشبه الخاء.

والحقّ أنّه لا يوجد تفسير لهذه الظّاهرة، إلاّ أن نقول: هي من جملة التّطوّرات الصّوتية للّهجات، فكما أفرزت تلك التّطوّرات ما رصده الأوائل نحو: "الكشكشة" و"الكسكسة" أفرزت كذلك هذه الظّاهرة، وربّما كانت قديمة، ولكنّها لم ترصد من لدن الأوائل، فكانت من جملة الظّواهر الّتي لم تنشأ في بيئات الرّصد الّتي عُنِيَ بها

---

(١) معجم اللّهجات المحكيّة، ٦٣٩.

(٢) التسمية من وضع الباحث، ويرى أنها أولى من "الكاف التّهاميّة"؛ لأنّه يدلّ على الصّوت الّذي تغيّرت إليه الكاف، كما هو الحال مع "الكشكشة" و"الكسكسة"" .... إلخ.

الأوّلون، لا سيما بيئات جنوب الجزيرة الّتي لم تولها مصنّفات القدماء حقّها من العناية والتّدوين.

المبحث الثالث : كاف الخطاب غير المبدلة.

الأصل في الكاف أنها حرف لا يكون بدلاً ، ولا زائدًا[١] ، فلا تُبدل صرفًا ؛ إذ هي ليست من أحرف الإبدال المجموعة في "هدأت موطيا" ، وليست من الأحرف الّتي تُبْدَل لغة في سعة الفصحى ؛ لذا كان الأصل فيها البقاء ، حرفًا كانت أو ضميرًا.

وهذا الأصل الأدائيّ للكاف لم يغب عن البيئات اللّهجيّة في منطقة عسير، وإن كان إبدالها أكثر شيوعًا واستعمالاً من بقائها ، لا سيما إن كانت ضمير مخاطبة كما سبق.

وتشهد منطقة عسير صورتين لبقاء كاف المخاطبة من غير إبدال، هما :

الأولى: كاف الخطاب المشبعة.

وهي كاف تنطق مماثلة لنطق كاف المخاطبة في الفصحى، إلّا أنّ بعض البيئات اللّهجيّة في المنطقة، تُشبع كسرة كاف المخاطبة حتى تستحيل ياء بيّنة، وتُشبع فتحة كاف المخاطب حتى تستحيل ألفا بيّنة، وكأنهم أردوا بذلك تمكين الفارق الصوتي بين خاطب المؤنث وخطاب المذكر، لذا يسمع قولهم: "أبوكي، أخوكي"... في "أبوكِ وأخوكِ" و"أبوكا، وأخوكا ..." في "أبوكَ، وأخوكَ"، وهم يتمثّلون هذا الأداء وصلا ووقفا على حد سواء، وهذا الأداء الصّوتيّ لكاف الخطاب مسموع في تِهامة قبائل قحطان، خصوصًا قبائل "آل حَيَّان" و"آل مَفْرَح" وسكان تِهامتي "الجَوَّة" و"الفَرْشَة"، وكلّها تتبع محافظة "سَرَاة عَبِيْدَة".

وقد تكون العزلة الجغرافيّة لهذه القبائل سببًا لمحافظتها على هذا الأداء الفصيح، فكلّ هذه القبائل تقطن في أغوار تِهامة السّحيقة، وتتّسم مسالكهم بالوعورة ؛ فكان اتصالهم بغيرهم محدودًا إلى حدّ كبير.

---

(١) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني ٢٧٩/١.

الأخرى: كاف الخطاب الساكنة.

الأصل في كاف المخاطب أن تكون مفتوحة، وفي كاف المخاطبة أن تكون مكسورة، وبهاتين العلامتين الصوتيّتين "الفتح، والكسر" يحصل التّمايز بين خطاب المذكّر والمؤنّث، ولما كان النطق بهاتين العلامتين ممّا تهرب منه البيئات اللّهجيّة غالبا؛ طلبا للخفة، نجد بعض بيئات المنطقة تسكّن هذه الكاف، ويحصل التّمايز بين خطاب المذكر وخطاب المؤنّث بإحدى صورتين، يحكمهما نوع الحرف قبلهما من جهة الصّحّة أو العلة.

أ. إن كان الحرف السّابق للكاف صحيحًا نُقِلَتْ عليه فتحة كاف المخاطب أو كسرة كاف المخاطبة، يقولون: هذا قَلَمَك؛ بفتح الميم لخطاب المذكّر، وهذا قَلَمِك؛ بكسر الميم لخطاب المؤنّث، وهكذا في كلّ ما كان قبل الكاف حرف صحيح.

ب. إن كان ما قبل الكاف حرفًا مُعتلاً، فتحوا كاف المخاطب، ورققوا كاف المخاطبة، فكان الأداء الصّوتيّ المميّز بين الخطابين. وهذا الأداء مسموعٌ في سَرَاة قبائل بني شِهْر، وبني عَمْرو وتِهامتهما، وتمتدّ ديارهم من محافظة النماص شمال أبها نزولاً غربًا إلى تهامة القبيلتين التّابعتين لمحافظتي المَجَارْدَة ومَحَايل.

وهذا مسموع كذلك في قبائل "بَارِق" التِّهَامِيَّة، التّي تقطن محافظة "بَارِق" شمال "أَبْهَا".

المبحث الرابع الكاف المبدلة جيما: الْكَجْكَجَة[1].

الكَجْكَجَة: إبدال كاف المخاطبة جيمًا ساكنة، فيقال في نحو: أبوكِ: أبوجْ، وهي من الظّواهر اللّهجيّة المعاصرة، ولم أجد لها ذكرًا في كتب اللّغويّين الأوائل، وأكثر ما تُسْمع في شرق الجزيرة العربيّة، وخصوصًا في دولة الكويت، ويبدو للباحث أنّ هذا الإبدال إنّما هو تطوّر من ظاهرة الكشكشة، وكأنّ صوت الشّين المبدلة عن كاف المخاطبة قد استحال مع الزّمن إلى صوت الجيم، وربّما كان ذلك الإحداث فارقًا بين حرف الكاف المبدل شينًا "الشّنشنة" وكاف المخاطبة ، فكأنّهم خصّوا كاف المخاطبة بهذا الإبدال إفرادًا لها وتمييزًا عن حرف الكاف.

ويؤيّد ذلك أنّ البيئات الّتي تُسْمع فيها "الكجْكَجة" تُسمع فيها الشّنشنة كذلك، فهم يقولون في نحو: "كذا": "تشذا"، وفي نحو "كِتاب" "تشتاب"، لكنّهم مع كاف المخاطبة في نحو: "كِتابكِ" يقولون: "تشابج" وهكذا، وهذا ما جعل القول بأنّ هذه الجيم المبدلة، هي تطوّر صوتيّ عن "الشّين" بقصد التّمييز بين الكاف الحرفيّة وكاف المخاطبة.

وفي منطقة الدّراسة "عسير" تُسْمع هذه الظّاهرة في بعض قبائل سراة بَلْقَرْن، ومنهم قبيلة "آل سُلَيْمَان" وهم يسكنون محافظة "سَبْت العَلَايَا" شمال منطقة "عَسِير، وهم يبدلون "كاف المخاطبة" جيمًا مطلقًا.

ولعلّ من اللاّفت انفراد هذه القبيلة بهذه الظّاهرة، كما انفردت بظاهرة "الشّنشنة" كما سبق، وهي بذلك تماثل الأداء اللّهجيّ في هاتين الصّورتين للّهجة شرق الجزيرة، ومنها "الكويت على وجه التّحديد، وربّما كانت ثمّة صلات عرقيّة بنسب أو باقتراض نجم عن هجرة أنتجت هذا التّماثل، وهي محلّ دراسة اجتماعيّة لإثبات ذلك أو نفيه.

---

(١) هذه التّسمية اجتهاد من الباحث، وقد حمله عليها القياس على نحو "الكشكشة" و"الكسكسة" أي: بذكر الكاف ثُمّ الحرف المبدل عنها.

الخاتمة والتّوصيات.

الحمد لله أوّلاً وآخرًا، والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على النّبيّ المجتبى، أمّا بعد:

فبعد هذا التّطواف المتتبع لأحوال الكاف في منطقة عسير، خلص البحث إلى جملةٍ من النّتائج:

أوّلاً: أنّ منطقة عسير تحوي جُلّ الظّواهر اللّهجيّة للكاف، سواء ما عُرِفَ منها قديمًا، نحو: "الكَشْكَشَة"، و"الكَسْكَسَة"... أو ما عُرِفَ منها لاحقًا، نحو: "الكَجْكَجَة"، أو ما انفردت به نحو: "الكَخْكَخَة".

ثانيًا: إشارات الأوائل لبعض ظواهر الكاف اللّهجيّة، ونسبتها لقبائل شمال الجزيرة نحو نسبتهم بعض الظّواهر لبكر بن وائل، وربيعة وغيرهما، دون أن يشيروا إلى أنّ تلك الظّواهر مسموعة في جنوب الجزيرة، كما يشهد له الواقع المعاصر، خصوصًا في ما يسمّى منطقة عسير الآن، يدلّ على أنّ البيئات الجنوبيّة لم تنل حظّها من عنايتهم في مصنّفاتهم.

ثالثًا: أن الطبيعة الجغرافية كانت حدا فاصلا لبعض صور الكاف اللهجية ، نحو تفشي ظاهرة الكَشْكَشَة في البيئات الحضرية الجبلية ، وتفشي "الكَسْكَسَة" في البيئات الصحراوية البدوية، ونحو انحصار الكاف التِّهَامِيَّة "الكَخْكَخَة" في تهامة رجال ألمع .

رابعًا :كشف البحث عن تباين في اتساع بعض ظواهر الكاف في المنطقة أو انحصارها، وذلك من خلال ترتيب الظواهر الأوسعَ انتشارا ثم الأقل فالأقل ، وأظهر أن "الكَشْكَشَة" أوسع الظواهر في المنطقة ؛لاستحواذها على مساحات واسعة تمتد على الطول الغربي للمنطقة من شمالها حتى أقصى جنوبها ، ثم تليها "الكَسْكَسَة" التي تشمل جميع البيئات البادية متمركزة في محافظات شرق المنطقة من "بِيْشَة" شمالًا

إلى "سَرَاة عَبِيْدَة" جنوبًا ، ثم تليهما "التَّسْتَسَة" ، التي تواطن "الكَسْكَسَة" في بيئاتها ، إلا أنها لا تطَّرد في كل كاف ، ثم تتقارب باقي الظواهر حتى تكون "الكجكجة "أقل الظواهر انتشارًا ؛ لانحصارها في قبيلة سَرَاة بَلْقَرن ، ومثلها "الوَكْم" التي لا تُسمع إلا في بعض قبائل "رِيْم" التابعة لمحافظة "رِجَال أَلْمَع" .

خامسًا: كشف البحث عن وجود صلات لهجية بين بعض قبائل المنطقة و لهجات شرق الجزيرة العربية ، نحو التماثل في صورتي "الكَجْكَجَة" و "الشَّنْشَنَة " بين بعض قبائل "بَلْقَرن "و بعض دول الخليج العربي ، و هذه الصلة في حاجة إلى دراسة اجتماعية للكشف عن احتمال وجود هجرات بين البيئتين ، أو صلات عرقية ، أفرزت هذا التماثل .

سادسًا: أنّ هذه الدّراسة تستحثّ همم الباحثين إلى العناية بالظّواهر اللّهجيّة الّتي تكتنزها هذه المنطقة ؛ إذ اجتمع فيها من الظّواهر الخاصّة بالكاف فقط ما تفرّق في غيرها، فضلاً عمّا انفردت به من ظواهر لا تكاد تُسمع في غيرها، فلو انبرى باحثون جادّون لتتبّع ظواهر المنطقة الصّوتيّة واللّهجيّة لألْفوا ما يستحقّ الجهد والدّراسة. والله أعلم.

ثبت المصادر والمراجع

[١] ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود الطّناحي، القاهرة، ١٩٦٥م.

[٢] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

[٣] الألمعيّ، يحيى إبراهيم، الأمثال الشّعبيّة في المنطقة الجنوبيّة، نادي أبها الأدبيّ، ط٢، ١٤١٣هـ.

[٤] إمارة منطقة عسير بالتّعاون مع كلّيّة الملك خالد العسكريّة للحرس الوطني، أطلس منطقة عسير الإداريّة، ١٤٠٢.

[٥] أنيس، إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط٢، ١٩٩٢م.

[٦] أنيس، إبراهيم، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط٩، ١٩٩٥.

[٧] البلوي، أبو الحجاج، ألف باء، القاهرة ١٢٧٨هـ.

[٨] ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.

[٩] الحربيّ، عليّ، المعجم الجغرافيّ للبلاد العربيّة السّعوديّة، منطقة عسير، مؤسّسة خليفة للطّباعة، ١٤١٨هـ.

[١٠] الدّرسوني، سليمان بن ناصر، ألفاظ ومفردات لهجات القبائل والمناطق، الرّياض، ١٤٣٤هـ.

[١١] الدّرسوني، سليمان بن ناصر، معجم اللّهجات المحكية في المملكة العربية السعودية، الرّياض، ١٤٣٤هـ.

[١٢] ابن دريد، جمهرة اللّغة، تحقيق: كرنكو، حيدر آباد، الهند، ١٣٥١ه.

[١٣] الرّاجحيّ، عبده، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط١، ١٤٢٠ه.

[١٤] زين العابدين، محمود، الأصوات العربيّة بين اللّغويّين والقرّاء، دار الفجر الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[١٥] السّوسرة، عباس علي دراسات في المحكية اليمنيّة، مركز عبادي للدّراسات والنّشر، صنعاء، ط٢، ١٤٢٨هـ.

[١٦] سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون، القاهرة، ١٩٦٦م.

[١٧] السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

[١٨] شرف الدّين، أحمد حسين، دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربيّة، ط١، ١٤٠٤هـ.

[١٩] عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[٢٠] آل عبدان ، عبدالناصر بن حمد ، الظواهر الصوتية في اللهجة الكويتية ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت بالأردن ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية آدابها ،٢٠١٨م

[٢١] ابن عصفور، الممتع الكبير في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

[٢٢] ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، مطبعة المؤيد، ١٣٢٨هـ.

[٢٣] الفاسي، محمّد، فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح، تحقيق: محمود يوسف فجال، دار البحوث للدّراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، دبي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

[٢٤] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان.

[٢٥] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مطبعة الحسينية، ١٣٤٤هـ.

[٢٦] قشاش، أحمد، أبحاث في التّاريخ الجغرافيّ للقرآن والتّوراة ولهجات أهل السّراة؛ الانتشار العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

[٢٧] قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، دراسة وتعليق: يُسرى عبد الغنيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

[٢٨] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠م.

[٢٩] اللّغويّ، أبو الطّيّب، الإبدال، تحقيق: عزّ الدّين التّنوخي، دمشق، ١٩٦٠م.

[٣٠] المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق: محمّد أبو الفضل والسّيّد شحاتة، القاهرة ١٩٥٦م.

[٣١] محمّد أحمد محمود، علم الأصوات، دار إشبيليا، الرّياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٣م.

[٣٢] مزبان، علي حسن، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثّقافة، الزّاوية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م.

[٣٣] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣.

[٣٤] ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب ، بيروت.

Phonetic Study of /Kaf/ in the Dialects of the Tribes of "Aseer" Region

Prepared by :

Fahd Bn SAEED Abdullahi Aal Muthiib Al-Qahtaaniy

An Associate Professor of LinguisticsAt King Khalid University.

Summary:

This research takes forms of dialectic performance for (kaf) in Aseer region and it is based on two scientific methods: Historical Method and Descriptive Method. Research aims to observe that dialectic phenomena for (kaf) as scientific material which feared from disappearance in period when disappear a lot of linguistic and social differences. Also, this research seek to eruption of dialects phenomena in region and attract the attention of researchers in dialects study importance, particularly in Aseer region which have a geographic diversity, therefore, excrete a dialect diversity, so, become easy to be told. This is (Bedouin), the other one is (sarawi) and the other one is (Tahami).

Research keys: Phenomena. Sarawiyyah. Tahamiyyah. Bedouin.